دير القديس أنبا مقار

برية شيهيت

كيف تقرأ الكتاب المقدس

(تم ترجمة هذا الكتاب إلى اللغات: الإنجليزية والفرنسية والألمانية)

الأب متى المسكين

كيف تقرأ الكتاب المقدس

• الكتاب المقدس يختلف عن كل كتاب آخر، لأن كل كتاب هو من وضع الإنسان، أما الكتاب المقدس فهو فوق أنه يحوي أقوال الله ووصاياه فإن كل ما كُتب فيه موحى به أيضاً من الله. فالله في الحقيقة هو صاحبه، وهو معطيه للإنسان ليكون له طريقاً إلى الحياة الأبدية.

• على أنه لم يُحرم أي إنسان في كل جيل أن يلتقط بالإلهام شيئاً عن الله كفاه وأشبعه، حتى ظن كل واحد في غمرة فرحه وابتهاجه أنه عرف الله واحتواه... ولكن كل مَنْ حاول باجتزاء العقل أن يرتقي فوق قامته البشرية المحدودة لكي يبحث عن الله في ذاته ليدركه في صورته الكاملة، عجز وتحطَّم وخسر القليل الذي يناسب قامته.

• فعسير على الإنسان كل العسر أن يُدرك مَنْ لا بداية له ولا نهاية... فالله كامل مدرك ولكن لا يُدرَك كماله... وهكذا أيضاً كل أعماله.

• فكيف تقرأ الكتاب المقدس حتى يكون لك طريقاً للحياة الأبدية؟

ثمن ٥٠ قرشاً

كتاب: كيف تقرأ الكتاب المقدس.
المؤلف: الأب متى المسكين.
الطبعة الأولى: ١٩٦٦.
الطبعة الثانية: ١٩٧٦.
الطبعة الثالثة: ١٩٨٠.
الطبعة الرابعة: ١٩٨٣.
الطبعة الخامسة: ١٩٨٧.
الطبعة السادسة: ١٩٩٠.
الطبعة السابعة: ١٩٩٥.
مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون.
ص. ب ٢٧٨٠ - القاهرة.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٨٣/٣١٠٤
رقم الإيداع الدولي: ٢ - ٢٧ - ٧٣٢٠ - ٩٧٧
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف.

الكتاب المقدس بالنسبة للقارىء

■ ■ ■

الكتاب المقدس يختلف عن كل كتاب آخر، لأن كل كتاب هو من وضع الإنسان؛ أما الكتاب المقدس فهو فوق أنه يحوي أقوال الله ووصاياه فإن كل ما كُتب فيه موحى به أيضاً من الله، فالله في الحقيقة هو صاحبه، وهو معطيه للإنسان ليكون له طريقاً إلى الحياة الأبدية.

وفي العهدين، ولو أن الكلام والحوادث والتاريخ وكل القصص تدور حول الإنسان، إلا أن الله هو الحقيقة المستورة، فالكتاب في الواقع يصف الله و يعلنه من خلال الحوادث. ولكن لا تكتمل الصورة في جيل أو في سفر ولا على طول المدى المتسع، فبمنتهى الضغط والصعوبة استطاع الكتاب أن يعطي للإنسان صورة ذهنية بسيطة عن الله في مدى خمسة آلاف سنة، باحتكاكه المباشر مع الإنسان.

على أنه لم يُحرم أي إنسان في كل جيل أن يلتقط بالإلهام شيئاً عن الله كفاه وأشبعه، حتى ظن كل واحد في غمرة فرحه وابتهاجه أنه عرف الله واحتواه، ولكن كل من حاول باجتراء العقل أن يرتئي فوق قامته البشرية المحدودة لكي يبحث عن الله في ذاته ليدركه في صورته الكاملة، عجز وتحطم وخسر القليل الذي يناسب قامته.

فعسير على الإنسان كل العسر أن يدرك مَنْ لا بداية أيام له ولا نهاية، **فالله كامل مدرك ولكن لا يُدرَك كماله**، وهكذا أيضاً كل **أعماله.**

وبجوار إعلان الله وتقديمه، يحاول الكتاب بكل الطرق أن يعدّ الإنسان لقبول الله إعداداً داخلياً؛ وإن كان في الظاهر يتراءى أن الإنسان يسعى نحو الله، ولكن الحقيقة

المفرحة والعجيبة أن الله هو الذي يأتي إلى الإنسان، كمحب وأب شديد المحبة «إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي **وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً**» (يو١٤: ٢٣). لذلك يوصينا الرب أن نكون في قلبنا مستعدين لهذا المجيء المبارك «**قلبي مستعد يا الله قلبي مستعد.**» (مز٥٧: ٧).

وبذلك نرى أن الكتاب، في مجموعه، يعلن الله سراً و يعدُّنا لاستقباله قلبياً، لنحيا معه منذ الآن؛ كعمل مُسبَّق لما سيكون في نهاية الأيام حينما يُستعلن الله جهاراً ونستقبله بوجه مكشوف لنحيا معه إلى الأبد.

القارىء بالنسبة للكتاب المقدس

القراءة على نوعين:

النوع الأول: وفيه عندما يقرأ الإنسان، يجعل نفسه وعقله يسودان على الكلام، محاولاً أن يخضع المعنى لإدراكه الشخصي، ثم يتحكم في المعنى بالقياس على المدركات الأخرى.

النوع الثاني: وفيه عندما يقرأ الإنسان يجعل الكلام في مستوى أعلى من نفسه، محاولاً أن يُخضع عقله للمعنى، بل ويجعل المعنى يتحكم فيه شخصياً كقياس أعلى لا يدانيه آخر.

والقراءة الأولى تصلح لكل كتاب من كتب العالم، علمية أو أدبية.
والقراءة الثانية لا غنى عنها ولا بديل لها بالنسبة للكتاب المقدس.

فالقراءة الأولى تجعل الإنسان سيد العالم كوضعه الطبيعي.
والقراءة الثانية تجعل الله سيد الإنسان، كخالق كلي الحكمة والقوة.

ولكن إذا خلط الإنسان بين القراءتين يخسر في الوضعين، فإن هو قرأ العلم والأدب كما يقرأ الإنجيل، صغر الإنسان وانحصرت قدرته العلمية واضمحلت هيبته في وسط الخليقة.

وإن هو قرأ الكتاب المقدس كما يقرأ العلم، صغر الله في عقله ووجدانه وانحصر الإله واضمحلت هيبته، وأحس الإنسان في نفسه بسيادة وهمية على الإلهيات وهذا هو المحظور الذي وقع فيه آدم قبلاً.

الفهم الروحي والإستذكار العقلي

■ ■ ■

إذن فقراءة الكتاب المقدس هي **وقوف تحت المستوى** under-stand أي للفهم وليس للفحص والمحاجاة والإستذكار. فالكتاب المقدس يُفهم ولا يُفحص لذلك من المناسب هنا أن نشير إلى الفرق بين الفهم الروحي والإستذكار العقلي.

فالفهم الروحي يدور حول قبول حقيقة إلهية، تظل تكبر وتتعظم وترتفع في أفق الذهن حتى تغطي كل اتساعه، وبطاعة الذهن وانفعاله الراضي للحقيقة تباشر الحقيقة الإلهية توسيعاً إضافياً للذهن، فيمتد الذهن مع الحق الإلهي حتى إلى مالانهاية «وتعرفوا محبة المسيح **الفائقة المعرفة** لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله.» (أف٣: ١٩)

ومن هذه الآية يتضح أن معرفة الله ومحبته وأموره على وجه العموم فائقة المعرفة، أي أعلى من المعرفة البشرية بتفوق لانهائي. لذلك من العبث والجهالة أن يحاول الإنسان أن يفحص أمور الله محاولاً أن يضبطها و يُخضعها لعقله.

إنما ينبغي أن يخضع الإنسان لمحبة الله حتى ينفتح ذهنه للحق الإلهي، وحينئذ يؤهَّل لقبول المعرفة الفائقة «وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو.» (أف٣: ١٨)

الإستذكار العقلي يفرض على الإنسان أن ينتقل من حالة الخضوع للحقيقة (بالفهم) إلى حالة السيادة عليها وامتلاكها، فالإستذكار العقلي يستلزم أن يتحرك العقل قليلاً قليلاً (بالفحص)، حتى يصير على مستوى الحقيقة؛ ثم قليلاً قليلاً يسمو فوقها ثم يمتلكها، حتى يستطيع أن يقولها و يسترجعها بميكانيكية عقلية وقتما يشاء، كأنها مِلْكه وكأنه سيدها.

وهكذا يكون **الإستذكار عملية حصر للحقيقة** وضمّها وتحديدها في أقل حيز ممكن، حتى يستوعبها الذهن و يستودعها أحد أركانه الكثيرة.

ومن ذلك يتضح أن الإستذكار العقلي عكس الفهم الروحي، لأن **الفهم الروحي يمتد بالحقيقة** وتمتد الحقيقة به «إلى كل ملء الله» أي إلى مالانهاية.

إذن فالإستذكار العقلي يُضعف الحقيقة الإلهية، و يسلبها قوتها واتساعها؛ فهو لا يتناسب مع الكتاب المقدس ونفعه قليل جداً.

الإستذكار الروحي

يوجد استذكار آخر لأقوال الله، به يستطيع الإنسان أن يسترجع المكتوب ولكن ليس حينما يشاء الإنسان أو حسب ما يشاء، ولكن حينما يشاء الله و بقدر ما يشاء. وهو استذكار روحي لا عقلي، يعطيه الله بروحه للذين يخدمون اسمه القدوس و يعلمون بكلامه: «وأما المعزِّي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلِّمكم كل شيء و يذكِّركم بكل ما قلته لكم» (يو ١٤: ٢٦).

فكما أن الفهم الروحي يعطيه الله للذين يطلبون أن يعرفوه باخلاص وأمانة «حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا ,, المكتوب،،» (لو٢٤: ٤٥)، كذلك فالإستذكار هو عمل روحي أيضاً يعطيه الله للذين أُعطوا أن يشهدوا له، حيث يكون تذكير الروح القدس عميقاً ومتسعاً ولا يشمل الإستشهاد بالآية فحسب، ولكنه يعطي معها حكمة لا تُعانَد، وقوة روحية تُبرز مجد الآية وسلطان الله الذي فيها، كما يرسل مع الكلام روح تأنيب فينخس القلب.

لذلك فهناك فرق شاسع بين إستذكار العقل الآلي، وتذكير الروح القدس.
ولكن على الإنسان أن يمهد لتذكير الروح بوعي قلبي لكلام الله، وذلك بكثرة التمعن

فيه وإستيداعه في القلب عن حب وتلذذ: «وُجد كلامك فأكلته» (إر ١٥: ١٦)، فكان «أحلى من العسل والشهد في فمي» (مز١١٨: ١٠٣)، ويداوم الإنسان تلاوته سراً «في ناموسه يلهج نهاراً وليلاً» (مز١: ٢)، وكلما وجد قولاً نافعاً يَصُرّ عليه في قلبه «خبأت أقوالك في قلبي لكي لا أخطىء إليك» (مز١١٨)، وتحذيرات الله «تكلمْ بها حين تجلس في بيتك وحين تمشي في الطريق وحين تنام وحين تقوم واربطها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك.» (تث٦: ٧و٨)

ولكن فرق كبير بين إنسان يتلو ويتمعن في كلام الله لأنه حلو ونافع لنفسه ومبهج لقلبه ومعزي لروحه، وبين أن يتمعن فيه ليردده بين الناس ليظهر كمعلم وخادم إنجيلي حاذق. الأول يبقى كوعي قلبي أو كصلة بالله، وأما الثاني فينفلت ناحية الذاكرة العقلية لينشىء صلة بالناس!!

فإذا حاول الإنسان قراءة الكتاب المقدس واستذكار الآيات عن ظهر قلب للتعليم والشهادة، قبل الخضوع للحق الإلهي والعمل به وانفتاح الذهن لقبول الفهم الروحي؛ يكون ذلك اغتصاباً للمعرفة، ولا يفلح الإنسان في تقديم الشهادة مهما قدم من آيات وبراهين بترتيب ولباقة عقلية، لأن الروح يكون متخلياً. وأسوأ استخدام للكتاب هو أن نجعله مصدراً لاقتباس الآيات وحسب!!

الفهم الروحي لأقوال الله ووصاياه وتعليمه هو دخول في سر الإنجيل: «قد أعطي لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت الله» (مت ١٣: ١١)، وعلامته هي إحساس الإنسان في داخله بينبوع لا ينضب من المعاني الروحية لأقوال الله، واتصال الحقائق بعضها ببعض، فكل آية يقرأها الإنسان تتصل في قلبه بآية أخرى، وكل معنى يمتد لينسجم مع معنى آخر، وهكذا يرتبط الإنجيل كله بعضه ببعض بلا عناء.

ولا يكون هذا وقفاً على الذين عتقوا في قراءة الكتاب المقدس سنيناً كثيرة، بل ربما

تكون خبرة الإنسان بالكتاب لا تتعدى شهوراً قليلة ويُعطَى هذا الإحساس، وبالآيات القليلة التي تكون مرت عليه يستطيع أن يتحدث عن الله بغيرة مؤثرة وأمانة وإخلاص يجذب القلوب إلى الله. ويكفي مجرد قراءة واحدة للآية حتى تنطبع في الذهن والقلب فلا تُمحى إلى الأبد... لأن كلمة الله روحية أو هي روح كما يقول الرب: «الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة» (يو ٦: ٦٣).

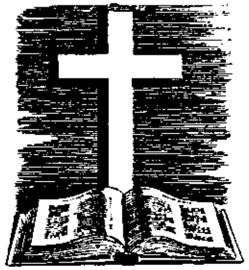

المدخل العملي لفهم الإنجيل

■ ■ ■

ليست هناك أي وسيلة عقلية يمكن بها أن تنفذ داخل الإنجيل، فالإنجيل روحي، و بالروح ينبغي أن يُطاع و يُعاش أولاً حتى يُفهم.

الذي وهو يعيش خارج الإنجيل يحاول أن يفهم الإنجيل، يعثر فيه؛ وإن هو تجاسر ليُعلّم به، يُعثر الذين يتبعونه...

الذي بغيرة حية وحب ملتهب وطاعة مطلقة لله ينفّذ إحدى وصايا الإنجيل بتدقيق، يدخل دون أن يدري في سر الإنجيل!

وأول ما يكتشف، يكتشف صدق مواعيد الله في نفسه. ومن هنا ينفتح الذهن بحرارة ليتقبّل شرارة الإيمان الحي التي تستقر في القلب وتضرمه بحب عظيم ومخافة نحو الله، و بقدر الأمانة والتدقيق في تنفيذ الوصية، بقدر ازدياد الخبرة الروحية والنمو في مستوى فهم الإنجيل.

لأن الدخول في طاعة وصية الله طاعة مخلصة وديعة، بدافع قلبي طاهر من كل غش أو رياء أو ظهور أو استعراض و بدون طموح في الغايات والنتائج؛ يعتبر بدء الطريق الحقيقي لمعرفة الله. لأنه من خلال تنفيذ الوصية تُمتحن نية الإنسان بتجارب، و بقدر إيمانه وتمسكه يُعان، و بقدر المعونة تزداد ثقته وتتيقن معرفته بالله و بتدبيره.

أي أن الفهم الروحي للإنجيل والله، هو نتيجة تكوين علاقة بالله عن طريق طاعة وصاياه.

هذا الفهم ليس هو فهم كلمات وشرح آيات، ولكنه فهمٌ لقوة الكلمة ومعرفة الحياة المنبثقة من الآية، فهمُ خبرةٍ وثقة و برهان، وإيمان حي بالله لا يتزعزع...

مثل رائع لقراءة الإنجيل وفهمه:

أعظم وصية يختبر فيها الإنسان تدبير الله، و ينال بتنفيذها قوة روحية تكشف له غوامض الكتاب وأسراره، وتضيء كل الطرق أمامه؛ هي أن يترك كل شيء و يتبع المسيح. لأن هذه الوصية هي كل الإنجيل!! وهي الآية التي سمعها القديس أنطونيوس، فنفذت إلى أعماقه وتمّمها بدقة وإصرار، ونال بذلك حياة حسب الإنجيل، وفهماً ومعرفة واستذكاراً للكتاب المقدس أدهش العلماء واللاهوتيين، باعتراف القديس أثناسيوس الكبير؛ هذا وإن القديس أنطونيوس كان لا يعرف القراءة والكتابة!

وعلى نفس النمط سلك آباء كثيرون فتحققت فيهم هذه الأعجوبة عينها، إذ بلغوا أوج المعرفة بالكتاب والله والتدبير الروحي، وهم أميون لا يعرفون القراءة والكتابة؛ أمثال الآباء النساك العظام بامو وأور و بافنوتيوس تلميذ مكار يوس الكبير الذي يقول عنه بالليديوس أنه كانت له نعمة المعرفة للكتب المقدسة وكان قديراً في تفسيرها، وهو أمي لا يعرف القراءة والكتابة.

ولكن كثيرين أيضاً في العالم، نساءً ورجالاً متعلمين و بسطاء، دخلوا سر الإنجيل من خلال إحدى الوصايا المتعددة، كالفقر الإختياري و بساطة المعيشة، وأصروا على عدم اكتناز أموال للطوارىء، جاعلين إيمانهم بالرب فوق كل اهتمام، فذاقوا بذلك أعاجيب الله وانفتح ذهنهم وأدركوا سر تدبير الله وفهموا أقواله كخبراء عاشوها وتحققوها، فأمكنهم أن يبشروا بها بكل إيمان وشجاعة؛ وآخرون دخلوا سر الإنجيل من خلال الصوم المتواصل ومسكنة الروح، وتعففوا عن كل ملاذ الدنيا وتسلياتها الميتة، فاختبروا قوة كلمة الله، وتعزوا وتسلوا بها جداً، وفهموا كيف يحيا بها الإنسان أكثر من كل طعام ودواء، وعرفوا الله وذاقوه واستضاءت أذهانهم بأقوال الله.

وآخرون دخلوا سر الإنجيل من خلال البذل في الخفاء، بذل المال والجهد والوقت لخدمة المساكين والمحرومين والمتضايقين والذين أحنت ظهورهم الكوارث، وذلك في

صمت وشجاعة، وقدموا آخر ما يملكون، وسهروا إلى أقصى ما يحتملون. هؤلاء صارت لهم معرفة ودراية وفهم للإنجيل ولوصايا الرب، ولكن ليس الفهم الذي يتأمل في جمال الكلمات و يشرح معانيها، ولكن الفهم النابع من الخبرة الذي يتحول إلى حياة أبدية ويجعل للإنسان صلة حية بالمسيح.

التأمل النظري والتأمل العملي

يوجد فهم تأملي نظري للكتاب المقدس و يوجد فهم تأملي عملي:

الأول: أي التأمل النظري، صناعة فكرية نتيجة الدراسة والتعمق والتأمل في المعاني وربط الآيات واستخلاص الحقائق منطقياً.

والثاني: أي التأمل العملي، إلهام تستشفه النفس مما تحصله من خبرتها ومعاناتها وصراعها مع الحقيقة أثناء ممارستها لوصايا الإنجيل، مضاف إليه شرح وتذكير الروح الذي يتقبّله الإنسان في وقته دون سابق معرفة.

والتأمل النظري في الكتاب المقدس يثير العقل ولكن لا يحرك الروح، يجعل السامع يشتهي الحقيقة ولكن لا يعرف كيف يدخل إليها، يصور الله ولكن لا يستطيع أن يتواجه معه.

وفصل التأمل النظري عن الخبرة الروحية وممارسة الوصايا في الخفاء، يتحول إلى عبادة صورية وولاء عقلي كاذب للإنجيل «هذا الشعب يكرمني بشفتيه أما قلبه فمبتعد عني» (مر ٧: ٦).

وللأسف هذا النوع من قراءة الكتاب المقدس وفهمه وشرحه وتعليمه هو النوع السائد في كنيستنا الآن، بل وفي العالم كله أيضاً؛ فلقد انحصر الإنجيل إلى أن أصبح مصدراً لاقتباس الآيات وللإستشهاد بالمبادىء والأفكار الواردة فيه كحقائق «علمية» تسند الخطب والمقالات والرسالات، فصار الإنجيل مدخلاً أميناً للشهرة ونيل الدرجات العلمية ومديح العالم، مع أن أصل الإنجيل وأصل حقيقته عدو للشهرة، وعدو للمعرفة

الدينية الكاذبة (غير العملية)، وعدو لمديح العالم. لذلك تُعتبر خسارة عظيمة للكنيسة أن تترك التعليم العملي بالكتاب وتهتم بالتعليم النظري.

أما التأمل العملي في الكتاب المقدس، الذي يكون بقبول الحقيقة الإلهية من خلال الممارسة للوصايا في الخفاء، وكنتيجة لأمانة التصاق القلب بالله، في مخافة لائقة واتضاع حقيقي؛ فهو ينشىء صلة عملية أكيدة بالله.

أي أن التأمل العملي في الوصايا ينشىء حياة داخلية مع الله، تصبغ أقوال الإنسان وفكره وتعليمه بالقوة الإلهية، و بكلمة واحدة يستطيع الإنسان أن يوصل الحقيقة للسامع، كما كان يفعل الآباء الذين كانوا يعيشون الإنجيل بكل قلبهم وفكرهم وقدرتهم، ولم تكن كلماتهم منمقة بالتأملات العالية، ولكن كان يحوطها السر، إذ كان فيها قوة تهب السامع حياة جديدة.

وفي أقوال الآباء النساك في القرن الرابع وما بعده، كانت هذه هي الصورة السائدة في التعليم: كان المبتدىء يذهب إلى الشيخ و يقول له: «قل لي كلمة لأحيا». وكان الشيخ يقول له كلمات قليلة جداً، ولكن بسبب قوة الإختبار والنعمة التي فيها كانت كافية للمبتدىء أن يحيا بها فعلاً و يتغلب على كل الصعوبات التي يواجهها. وهذا في الواقع هو أصدق صورة لفهم الإنجيل والبشارة به. وما أليق قول الرب بالنسبة لنا الآن «إن علمتم هذا، فطوباكم إن عملتموه.» (يو١٣: ١٧)

قوة الحياة في البساطة العملية

ونحن لو رجعنا إلى عصور الكنيسة الأولى نندهش من قوة الكنيسة، و بالأخص جداً الكنائس المبتدئة، إذ كان الشعب بالرغم من بساطته وعدم درايته بالكتاب المقدس ــ لأن المخطوطات لم تكن في حوزة الأفراد إلا فيما ندر ــ و بالرغم من حداثة إيمانهم بالمسيح، و بالرغم من تغلغل عاداتهم الوثنية القديمة، إلاّ أن حياتهم الروحية وأمثلة إيمانهم وحبهم وغيرتهم كانت مثالاً رائعاً لحياة قوية حسب مطالب الإنجيل، ونموذجاً

أعلى للفهم العملي لمعنى الحياة الأبدية، وملكوت الله، والسلوك بالإيمان، والموت عن العالم، والإخلاص للمسيح، وانتظار مجيئه الثاني، والإيمان الحي بالقيامة. ونحن إلى يومنا هذا لا نزال نستقي من إيمانهم وتقليدهم، ونتفهم بصعوبة الرسائل التي كُتبت لهم، والتي كانت عندهم سهلة ومفهومة ومُعاشة.

والسر في ذلك كله، أنهم كانوا يعيشون حسب ما يسمعون. فكل وصية كانت تجد لها قلوباً أمينة مخلصة لتحيا فيها، وكل كلمات المسيح كانت تدخل في عمق الحياة اليومية، والإنجيل كان يُترجم إلى عمل وسلوك.

هؤلاء البسطاء فهموا الإنجيل، فهموه أنه حياة تُعاش لا مبادىء تناقَش، ولا يمكن الإكتفاء بفهمها نظرياً، ومن ينبوع فهمهم الحي لا يزال يستقي المخلصون للمسيح حياة لأنفسهم إلى يومنا هذا.

هذه الجماعات الأولى الملتهبة بحب المسيح لم يكن لديها قوانين إيمان ولا تعاليم آباء ولا شروحات، ولكن كانت كلمات المسيح القليلة التي تبلغ آذانهم تصير في الحال قانون إيمان لهم، لا تحتاج إلى شرح أو تعليم أو تأويل، ولكن تحتاج في نظرهم أن تُختبر وتُعاش؛ وبالخبرة كانوا يكتشفون قوتها ويستعلنون أسرارها، فيزدادون التهاباً وحباً وإيماناً بالمسيح والإنجيل.

لما سمعوا «طوبى للمساكين بالروح»، باعوا كل شيء ووضعوا ثمنه تحت أرجل الرسل.

لما سمعوا «طوبى للحزانى الآن»، استهانوا بكل ألم وتعب في خدمة الرب.

لما سمعوا «طوبى للمطرودين من أجل البر»، احتملوا أقسى أنواع الذل والهوان والمطاردة.

لما سمعوا «اسهروا وصلوا»، كانوا يجتمعون في السراديب للسهر والصلاة طوال الليل.

لما سمعوا «أحبوا أعداءكم»، لم يسجل التاريخ أي مقاومة قام بها المسيحيون ضد مضطهديهم من أي نوع، لا سلبية ولا إيجابية!! وقدموا رقابهم للسيف بخضوع وطاعة، إكراماً لقول المسيح.

نعم هذا كان عندهم هو معنى قراءة الإنجيل وفهمه، فقد ولَّد فيهم جوعاً وعطشاً شديداً لبر الله. من أجل ذلك كان الروح القدس في أوج نشاطه وعمله معهم؛ فكان يؤازر الكلمة، ويسند القلوب، ويقوّي في الضعف، ويقود في الظلام، ويعزّي في المحن، ويرافق في المسير حتى تُستودع الروح ليد خالقها بمجد عظيم.

+ + +

القراءة بدون عمل والقراءة مع العمل

■ ■ ■

تظل القراءة عديمة النفع، والفهم بلا قوة، والحفظ والاستذكار كلاماً وضوضاء في الهواء؛ إلى أن يدخل الإنسان في طاعة الوصية، ويحول الكلمة إلى قانون حياة وسلوك، مهما كلّفه من تضحية وخسارة وعناء وازدراء.

ولكن الرب يسوع يقول أكثر من هذا، يقول أن الذي يقرأ كلامه و يفهمه ولا يعمل به تكون نهايته إلى سقوط ودمار وخسارة فادحة، كمن يبني بيته على الرمل!!

«**فكل من يسمع أقوالي هذه ولا يعمل بها** يشبَّه برجل جاهل بنى بيته على الرمل فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبَّت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيماً.» (مت ٧: ٢٦و٢٧).
ولعلك تقول معي ياليته ما بنى و ياليته ما قرأ وسمع وعلم وتعلم.

حياة الفريسيين والناموسيين كانت من هذا النمط: تدقيق شديد في الناموس، حذق في شرح وتفصيل الوصايا، فتاوي بلغت من الدقة درجة خرجت بها عن الحق و بساطة الروح، مع عمل ميت وسيرة جوفاء فارغة من غزارة الروح: «وإذا ناموسي قام يجربه قائلاً يا معلم ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فقال له ما هو مكتوب في الناموس. **كيف تقرأ**. فأجاب وقال تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك وقريبك مثل نفسك. فقال له بالصواب أجبت **إفعل هذا فتحيا**.» (لو١٠: ٢٥–٢٨)

أما الذي **يسمع** الكلمة **و يعمل بها**، فقد شبهه الرب بإنسان بنى بيته وأسسه على الصخر، مشيراً إلى أن قوة الكلمة كائنة فقط في اختبارها عملياً. لأن المعونة في

الضيقات والمخاطر، والمؤازرة السرية من الروح القدس لا ينالها الإنسان ولا يتعرف عليها إلا بتنفيذه الوصية بإخلاص. فالكلمة في فم إنسان يعيش بها عملياً كبيت على صخرة، ثابت لا يهاب الزعازع.

«فكل من يسمع أقوالي هذه **و يعمل بها** أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط لأنه كان مؤسساً على الصخر» (مت٧: ٢٤و٢٥). وهنا لعلك تقول معي ياليت بيتي يكون على صخرة، و ياليت قراءتى وفهمي ومعرفتي للإنجيل تكون للعمل، قبل أن تكون للكلام والوعظ والأحاديث والتأملات والسمر.

مثل محزن للمعرفة العالية بدون عمل

بلعام كان رجل رؤى، وكانت عينه مفتوحة و يرى الأمور القادمة، وكانت له قوة النبوة، وكان يسمع و يتكلم بعظائم الله، وكان مرفوضاً وصار مثلاً مخيفاً وتحذيراً مرعباً لمن يتكلمون بكلام الله، و يكشفون الغوامض، و يتنبأون بنبوات صادقة، و ينطقون بالبركات و يذبحون الذبائح، كبلعام، وقلبهم متنجس يعيش في الخفاء بعيداً عن الله!

اسمعه يتكلم هو عن نفسه: «وحي بلعام بن بعور، وحي الرجل المفتوح العينين، وحي الذي يسمع **أقوال الله، و يعرف معرفة العلي**، الذي يرى رؤيا القدير ساقطاً وهو مكشوف العينين.» (عد ٢٤: ١٥و١٦)

ولكن للأسف كانت هذه المواهب كلها ليست كافية أن تردع قلب بلعام عن السلوك بالشر، فكان بلعام في ضلالة عظيمة كما قرر الرسل القديسون، يهوذا في رسالته و بطرس في رسالته الثانية و يوحنا في سفر الرؤيا. لأنه وإن كان حسب الظاهر يبارك شعب الله، إلا أنه في الخفاء كان يعمل ضدهم بمشورة شريرة، وأحب أجرة الإثم.

والذي بلغه بلعام في المعرفة والفهم والرؤيا والنبوة هو أقصى ما يمكن أن يبلغه إنسان

روحي، ولكن الذي سلكه بلعام في حياته العملية لم يسلكه إلاّ أشر الناس وأخبثهم.

ومن هذا المثل يتضح أن فهم الكلام الروحي والتعليم به، حتى ولو بلغ درجة النبوة، دون أن يكون له شاهد من قداسة السيرة والسلوك باستقامة وخوف أمام الله، لا ينقذنا من اللعنة والموت اللذين كانا ختام حياة بلعام.

«أنظروا كيف تسمعون»

قبل أن تقرأ الكتاب المقدس وقبل أن تسمع كلمة الله، أنظر في أي موضع منك ستستقر كلمة الله؟ وهنا نعود إلى المثل المحبوب، مثل الزارع، وندخل إلى شرحه مباشرة:

+ «الذين على الطريق هم الذين **يسمعون ثم يأتي إبليس** و ينزع الكلمة من قلوبهم لئلا يؤمنوا فيخلصوا»

+ «والذين على الصخر هم الذين **متى سمعوا يقبلون الكلمة بفرح**، وهؤلاء ليس لهم أصل **فيؤمنون إلى حين** وفي وقت التجربة يرتدُّون»

+ «والذي سقط بين الشوك هم الذين **يسمعون ثم يذهبون فيختنقون** من هموم الحياة وغناها ولذّاتها ولا ينضجون ثمراً»

+ «والذي سقط في الأرض الجيدة هو الذين **يسمعون الكلمة فيحفظونها في قلب** جيد صالح و يثمرون بالصبر» (لو٨: ٥ـ٨).

«أنظروا كيف تسمعون» (لو٨: ١٨).

أربعة أنواع من الناس بالنسبة لسماع الإنجيل!! وهي لا تحتاج إلى شرح ولا إلى توضيح، لأن الرب يسوع شرحها بنفسه، فانظر، كما يقول الرب، كيف تسمع؟ هل بقلب يعيش طول النهار في الطرقات؟ أم بقلب ليس له عمق لأنه يخاف أن يجلس مع نفسه ليفتش حياته؟ أم بقلب يميل إلى اكتناز المال لتأمين الحياة؟ أم بقلب غارق على الدوام في هموم وهمية؟

أنظر كيف تسمع الإنجيل! وكأنما يريد الرب أن يقول أن الإنسان يسمع بقلبه أكثر

مما يسمع بأذنيه، وأن حياة الإنسان الداخلية تتحكم في كلام الله، فإما تميته وإما تحييه وتزكيه

إذن فالذي يريد أن يسمع الكلمة جيداً و يفهمها ويحفظها في قلب جيد صالح، عليه أن يعد قلبه من الداخل حتى تستقر فيه الكلمة بأمان، وتجد في داخله أمانة بالله وتصديقاً لأقواله ومواعيده.

هيهات أن يفهم الإنسان ما يسمعه من أقوال الله، إذا لم تكن له أمانة مطلقة في الله، وقد عزم وصمم أن يسلم حياته ومسئولياته، واهتماماته وأمواله ومستقبله وكرامته، تحت قدمي الله.

لأن الذي يخاف من المستقبل، كيف يفهم قول الرب «لا تهتموا للغد» (مت ٦: ٣٤) و«لا تهتموا لحياتكم» (مت ٦: ٢٥)؟

ــ والذي يخاف على كرامته كيف يفهم الصليب؟

ــ والذي يخاف من المرض أو الموت كيف يفهم القيامة؟

ــ إن الذي يطلب أن يقرأ الإنجيل هو في الواقع يطلب الحياة الأبدية، والذي يطلب الحياة الأبدية ينبغي أن يحدد موقفه من الحياة الحاضرة!!

نسيان الكلمة خداع نفساني

■ ■ ■

ليس أجمل من تصوير يعقوب الرسول للإنسان الذي يسمع كلام الإنجيل و ينساه، بإنسان ينظر وجهه في مرآة، فإذا ترك المرآة نسى في الحال شكله! (يع ١: ٢٣) فالذي يهمل الكلمة المسموعة، يفقد في الحال إحساسه بذاته.

يوجد سامع للإنجيل يتقبل الكلام ويحجزه في قلبه، فلا تفارق الوصية شعوره، ويجعلها أمامه كمرآة لا تفارق ذهنه، وعلى الدوام يصلح بها كلامه وأفكاره وأعماله.

و يوجد سامع للإنجيل لا يتبقى في قلبه مما يسمعه كلمة واحدة، لأن القلب لاهٍ ومستهتر ومشغول في أمور تهمه أكثر من الإنجيل وأكثر من الحياة الأبدية: ربما شغله، ربما همومه، ربما مسراته، ربما اهتماماته التي يظنها خدمة لله. وربما لا شيء وهذه مصيبة أيضاً، فأثناء قراءة الإنجيل تجده يتنهد وربما يبكي. و بعد الإنجيل ينشغل في أموره و ينسى أنه تنهد وأنه بكى، ونسيانه هنا يتهيأ له أنه فوق إرادته، ولكن الحقيقة أنه خداع نفساني لأن النفس تريد أن تنساه، لأنها لا تحبه.

قد يواظب الإنسان على قراءة الإنجيل كل يوم، ولكنه يشعر أن هناك فاصلاً من حديد يفصل بين ما يقرأه كل يوم و بين ما يسلكه كل يوم، هذا الفاصل الحديدي مصنوع من النسيان، فلا القراءة تزداد في قوتها وفعلها على ممر الأيام، ولا الحياة تتغير أو تتقدم خطوة واحدة.

هذا النسيان يعتبره يعقوب الرسول خداع النفس!!

ـ «اقبلوا بوداعة الكلمة المغروسة القادرة أن تخلِّص نفوسكم، ولكن كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين فقط **خادعين نفوسكم**، لأنه إن كان أحد سامعاً للكلمة وليس

عاملاً فذاك يشبه رجلاً ناظراً وجه خلقته في مرآة فإنه نظر ذاته **ومضى وللوقت نسى ما هو!**» (يع ١: ٢١ــ٢٤)

الأذن غير المختونة

هذا تعبير روحي خطير واجه به الشهيد استفانوس رؤساء المجمع الملتئم لمحاكمته، حينما شعر أنهم يقاومون الروح القدس لغرض في نفوسهم.

ـ «يا قساة الرقاب **وغير المختونين بالقلوب والآذان** أنتم دائماً تقاومون الروح القدس.» (أع ٧: ٥١)

الروح القدس يتكلم معنا من خلال الإنجيل، ولكن لا يسمع لصوت الروح القدس إلاّ الأذن المختونة، أي التي طرحت عنها غلفتها. وغلفة الأذن تعبير روحي عند القديس إستفانوس يُقصد به عدم التبعية لله والتغرُّب القلبي عن صوته! فالأذن غير المختونة أو القلب غير المختون هما كالغريب وسط شعب الله، لا يفهم وصايا الله ولا يستجيب لها، لأنه يعتبرها فريضة غير ملزمة له!

صاحب الأذن غير المختونة لا يسمع للروح ولا يتأثر به ولا يستجيب له، لأنه جعل نفسه بإرادته غير خاضع للروح القدس، خوفاً من الروح القدس، لئلا يطالبه أن يتخلى عن أشياء أو مواقف أو مبادىء أو علاقات يراها نافعة ولذيذة وتهمه شخصياً، حيث يكون التخلي عنها خسارة لا يودها. كذلك هو يخشى الروح القدس لئلا يطالبه أن يسلك ضد نفسه أو ضد العالم، ونفسه عزيزة عنده والعالم لذيذ!

لذلك فصاحب الأذن غير المختونة هو إنسان لم يقطع غلفة نفسه، ولا يريد أن يقطع غلفة العالم عن قلبه ولا عن أذنه. وهو غير مستعد أن يضحي بشيء أبداً، أو على الأقل غير مستعد أن يضحي بكل شيء من أجل الله... فهو يسمع الروح القدس، ولكنه لا يسمع له! محاولاً في كل مرة أن يميت صوت ضميره...، فقد أعفى نفسه منذ زمان بعيد ومن الأساس من أن يستمع لصوت الله تماماً.

هذا الموقف سبق أن شرحه إشعياء النبي وعلق عليه الرب نفسه بقول كاشف: «مبصرين لا يبصرون! **وسامعين لا يسمعون!** ولا يفهمون!، لأن قلب هذا الشعب قد غلظ وآذانهم قد ثقل سماعها، **وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا** بعيونهم و يسمعوا بآذانهم و يفهموا بقلوبهم و يرجعوا فأشفيهم.» (مت١٣: ١٣، ١٥ وإش٦: ٩)

هنا يفضح الرب نية السامعين كيف ظهروا كأنهم يقرأون وكأنهم يسمعون وصايا الله، وهم في الحقيقة عقدوا النية أن لا يتأثروا، فغمضوا عيونهم وآذانهم حتى لا يبصروا ولا يسمعوا؛ والعلة كشفها الرب، إنهم يخافون، لئلا يضطرهم شدة صوت الله وتأنيب الروح القدس فيتخلوا عن مواقفهم الخاطئة، وملكياتهم المغتصبة، وخططهم التي رسموها لمستقبلهم، وعلاقاتهم الآثمة التي باعوا أنفسهم لها، بل باعوا الحياة الأبدية والله من أجلها.

هؤلاء مثل كثير منا، لا يمانعون من قراءة الإنجيل ولا يمانعون من سماعه، ولكن عند مواضع معينة وعند آيات معينة وعند وصايا معينة يرتبكون و يسرعون ليغمضوا عيونهم ليتجاوزوا صوت الروح القدس في قلق وتعب كثير. هنا تنكشف الأذن غير المختونة، إذ تتضايق من صوت الله وتتحاشاه، كالحية تسد أذنيها لئلا تسمع صوت **الراقي** حتى لا تطيعه ولا تذعن له:

«أيها الغلاطيون... من **رقاكم** حتى لا تذعنوا للحق؟» (غل٣: ١)

آه! هنا نقف قليلاً أيها القارىء العزيز ونعود معاً إلى المواضع والآيات والوصايا التي تجاهلناها عن قصد وفي إصرار وفي جبن، وكانت قلوبنا تحتج على عنادنا، فكانت تضطرب وتدق دقاً سريعاً مؤلماً لتنبئنا أننا في حالة مقاومة للروح القدس وأننا نجوز خطر الموت والبعد عن الله بسبب هذا التجاهل، هيا لعلنا نصحح وضعنا تجاه صوت الله!

فليتها تكون ساعة الآن لنقتحم أنفسنا ونكسر عنادها وكبرياءها ونطرح كل ملذاتها ومخاوفها، وننحاز إلى صوت الله ونتبعه.

— «أذكر من أين سقطت وتب واعمل الأعمال الأولى وإلا فاني آتيك عن قريب وأزحزح منارتك من مكانها إن لم تتُب.» (رؤ٢: ٥)

ربما شهوة التعظم والرئاسة، ربما النجاسة، ربما العداوة والحقد والبغضة من أجل نفسك، ربما خيانة، ربما قسوة وظلم وتعويج للقضاء، ربما عدم أمانة وسرقة واختلاس وغش ومحبة الربح القبيح، ربما الكذب، ربما عدم الثقة بالله والإعتماد على المال وتأمين المستقبل، وربما يكون شيء أكثر من ذلك كله، إذ تكون هارباً بجملتك من وجه الله وليس لك مستقر لرجلك في أرض السلام، وتحاول أن تخفي وجهك منذ الآن من الجالس فوق العرش: «غمضوا عيونهم لئلا تبصر». في كل هذا تصبح قراءة الإنجيل عبثاً، وسماع الإنجيل دينونة مضاعفة.

أما الأذن المختونة فهي التي طرحت عنها غُلفتها، ولم يعد حاجز ما يحجزها عن سماع صوت الله، كأذن صموئيل الصبي الطاهر الوديع الساكن في هيكل الله «تكلم يارب لأن عبدك سامع» (١صم ٣: ١٠) حيث تكون الأذن منفتحة لسلطان الإنجيل خاضعة بمسرة لصوت الله، صاحية وواعية لندائه، مستعدة للاستجابة مهما كانت الدعوة، لأن الأذن المختونة شجاعة جداً تستطيع أن تسلك ضد نفسها إرضاءً لصوت القدير.

القلب المستعد لمطالب الله العظمى، يعطي أذناً تسمع دقائق صوت الله دون أن تفقد حرفاً واحداً.

فإذا سألت ـــ بعد ذلك كله ـــ كيف أقتني أذناً تسمع صوت الله؟ أقول لك هيىء نفسك أولاً لمطالبه ودعوته وتوجيهاته، وكن مستعداً في قلبك لتنفيذها مهما كلفك الأمر، وحينئذ يصير لك أذن تسمع صوت القدير.

— «يوقظ كل صباح، يوقظ لي أذناً كالمتعلمين،
السيد الرب فتح لي أذناً وأنا لم أعاند،
إلى الوراء لم أرتد...» (إش ٥٠: ٥).

صوت ابن الله

— « هانذا واقفٌ على الباب وأقرع إن سمع أحدٌ صوتى وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معي . » (رؤ ٣ : ٢٠)

الرب لا يقرع باب القلب فقط ، بل و يدعو بصوته خرافه بأسمائها ، لعلنا نسمع ونفتح ليدخل حياتنا و يشاركنا دموع عشائنا ثم يُشركنا في عرس عشائه .

الأمر لا يحتاج أن نذهب نبحث عن الله ، كأنه مختبيء بعيداً ، فنجهد أنفسنا في البحث والتصور والتأمل وتفتيش الكتب ، وهو واقف أمامنا على باب القلب لا يفارقه .

دقات يد الرب على الباب هي كلماته ، وهو لا يزال يدق كل أيام حياتنا إلى أن تنتبه الروح من نعاسها وتتبين صوت الحبيب .

الأمر لا يحتاج منا إلى توسل ودموع واستعطاف لكي يأتي الرب إلينا ، لأنه حاضر على الدوام وهو إلى الآن يقرع ، ولن يكف لأنه يريد أن يدخل حياتنا ، فراحته الخاصة معنا ، ومسرته القصوى أن يشاركنا صليبنا وليلنا ، لأن الصليب عنده لا يزال محبوباً .

ولكننا نحن الذين نخطىء في تقدير صوته ، خطأ يجعلنا نستهين به ونتجاهله .

مريم المجدلية جازت نفس التجربة عندما جلست على القبر تبكي ، وحسبت الرب الواقف أمامها أنه البستاني ، وظلت تتوسل إليه أن يعطيها جسد يسوع لتكفنه ! ولما عيل صبر الرب ناداها باسمها فللوقت عرفته .

كم مرة وقفنا نبكي ناظرين إلى السماء هناك بعيداً حيث نظن الرب يسوع يسكن ، مع أنه موجود وقائم أمامنا مواجهة لا يحجزه عنا إلاّ عدم انتباهنا القلبي !

كم مرة وقفنا أمامه في الصلاة نتوسل إليه أن يكلمنا ، علّنا نسمعه ، فكان بدون جدوى ، مع أنه لا يزال ينادينا بأسمائنا ، ولا يحجزُ صوتَه عنا إلاّ ارتباكُنا في مشاكلنا الوقتية .

الخطأ هو أننا نريد أن نراه داخل الزمن في وسط الحوادث اليومية التي تملأ كل فراغنا الفكري والعاطفي ، ولكن الرب في الحقيقة يوجد الآن فوقها ، فوق الزمن والحوادث جميعاً ، يحركها بتدبيره بكل حكمة ، والنفس الواعية البسيطة تلمح يده وهي تصيغ قصة خلاصها عبر الحوادث والسنين . فما ننجح في تأديته وما نفشل فيه يلتئمان معاً في إيجابية يقودها القدير لخلاصنا ، والخسارات الزمنية ليست خسارات روحية ؛ والضيق والحزن والألم والمرض ، هي لغة التدبير الإلهي ، وهي شفرته السرية ، تفسيرها بالروح تقويمٌ ومسرةٌ ومجدٌ أبدي .

الخطأ أيضاً أننا نريد أن نسمع صوت ابن الله بأذن الجسد ، بلغة إنسان ولهجة رجل ! ولكن صوت ابن الله الآن لا يُحدُّ ، فهو قوة تحرك النفس وتقيمها وتنعشها ، وهو سلام عميق يفوق العقل ، وهو راحة وعزاء ، وهو الحياة نفسها في اتساعها وارتفاعها اللانهائي ، فبأي حروف يمكن أن تُصاغ لهجته ونبرته ؟

الله يتكلم ، وكل إنسان على وجه كل الأرض يمكن أن يسمع صوته و يفهمه و يستجيب له ، وكأنه يدعوه شخصياً و يناديه باسمه ، فصوته صوت الدهور كلها ، لا يضعف ولا يموت في الهواء ، ولا يُحدُّ ولا يعود إليه فارغاً ؛ وهو سينادي مرة فتسمعه الخليقة كلها فتقوم من موتها .

« إن سمع أحد صوتى » ، لا يسمع صوت ابن الله إلاّ الذي ارتفع بروحه إلى مستوى توجيه الرب ودعوته ، إلى مستوى الملكوت والحياة مع الله ، أي فوق الحوادث اليومية فيأخذ منه مشورة للحياة وتدبيراً للخلاص عبر هذه الحوادث اليومية نفسها ومن خلالها و بواسطتها !!

لا يسمع صوت ابن الله إلا الذي وسع قلبه وذهنه ، ليفهم لغته التي يصيغ حروفها ونبراتها من الحب والحنان والسلام والترفق والعناية الساهرة الأبوية رغم كل مظاهر قسوة الحياة وظروفها .

إن كانت لك هذه الأذن الروحية المدربة على فكّ رموز المعاني الإلهية في الحوادث الزمنية ، فسوف تسمع دقات يد الرب من خلف الكلمات وهي تقرع بابك ، مرة في رفق ومرة في عنف ، وسوف تسمع صوته من وسط اللجج والعواصف ، كما من وسط نسيم لطيف ، وهو يناديك لتفتح له لتقبل منه سر عرس عشائه ، بعد أن يقاسمك خبز دموعك .

الرب قريب ، وهو متواضع وصوته خفيض أخفض من صوت إنسان ، ولكنه عميق أعمق من الأبدية نفسها...

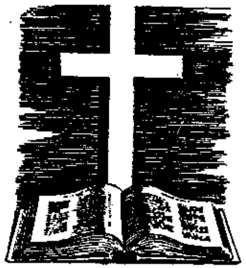

كرامة القراءة والسماع للإنجيل

■ ■ ■

الإنسان الحي لله لا يدع كلمة الإنجيل تسقط منه ، ولا يسلمها للنسيان ، بل بكرامة وتوقير ومخافة يجعلها مثل التاج على رأسه وعلى قمة حياته كلها يضعها .

لأن غيرة الأتقياء تظهر جداً عند سماعهم للإنجيل ، فتراهم وكأنهم صاروا في حضرة الله ، أو كأنهم حول المذبح المقدس يستعدون لقبول الجسد والدم . لا لأنهم يكرمون الإنجيل كعادة أو للتظاهر ، كما يفعل المراءون ، بل لأنهم يتقبلون منه قوة فوق قوة لسماع صوت الله نفسه .

هذه الإعتبارات كانت واضحة غاية الوضوح في عصور الكنيسة الأولى ، ولا تزال الكنيسة تستقي من هذه الغيرة والمخافة والتقديس لقراءة الإنجيل وسماعه حتى اليوم . وها التقليد في الكنيسة يسجل هذا السلوك العجيب ، فالكاهن لا يجرؤ أن يقرأ الإنجيل في الكنيسة إلاّ بعد أن يرفع صلاة خاصة ، حتى يصير هو والشعب **مستحقين لسماع** الإنجيل المقدس ، وقبل أن يقرأ كلمة واحدة يصرخ الشماس في كل الشعب ليقفوا بخوف من الله لسماع الإنجيل ، والشعب كله يستجيب لهذا النداء و يعطي المجد لله .

والمتبع أن لا يقرأ الكاهن الإنجيل ، إلاّ بعد أن يخلع نعليه بصفته واقفاً في حضرة الله .

و بعد القراءة يمر الشعب كله و يُقبّلون الإنجيل بفرح ودموع وهو موضوع مفتوحاً في يد الكاهن .

هذا كله كان يعمله الشعب في العصور الأولى من تلقاء غيرتهم وتوقيرهم وحبهم للإنجيل ، واستقر بعد ذلك في الكنيسة كطقس .

والذي ذاق قوة الإنجيل في حياته، لا يستكثر هذا الأمر، بل يصنع أكثر من ذلك.

يوجد من لا يقرأ الإنجيل إلاّ صائماً.
يوجد من لا يقرأه في مخدعه إلاّ راكعاً.
و يوجد من لا يقرأه إلاّ ببكاء ودموع.

وتوجيهات الله للإنسان تكون غالباً أثناء قراءته أو سماعه، عندما يكون الإنسان في حالة خشوع وصلاة والقلب مفتوح.